(٢)

القوى المتصارعة في المغرب خلال القرن الثاني الهجري ودور ليبيا فيه

الدكتور مراجع الغناي

كان من الممكن أن تستقر الأمور في إفريقية تحت زعامة ابن الأشعث لفترة أطول ، لو أن الجند العباسي أخلد إلى الطاعة والهدوء . لكن الذي رأيناه أن الجند العباسي الذي دخل إفريقية ، بقيادة ابن الأشعث ، ويقدر عدده بسبعين ألف مقاتل ، ومعظمه من الفرس ، أخذ قادته يثيرون القلاقل في وجه قائد إفريقية ووالياها . وهذه صفة سيتسم بها تاريخ إفريقية تحت سيادة العباسيين ، إذ أننا سنلاحظ تكرر تمرد القادة والجند على الولاة واضطراب الأمور في البلاد واستيلاء بعضهم على بعض الولايات .

وقامت حركة التمرد في وجه ابن الأشعث سنة ١٤٨ هـ ، وتزعمها بعض كبار القادة من الفرس ومضر ، بقيادة عيسى بن موسى بن عجلان الخرساني ، الذي أرغم ابن الأشعث على ترك الولاية والخروج من القير وان في ربيع الأول من سنة ١٤٨ هـ . واستمر ابن عجلان الخرساني على ولاية القير وان ثلاثة اشهر : « من غير عهد من المنصور ولا رضى منه ولا تراض من العامة »[1] .

وتداركاً لهذا الأمر ، بعث المنصور عهده بولاية إفريقية لأحد كبار قادة إفريقية ، الأغلب بن سالم بن عقال التميمي ، جد الأغالبة ، أمراء إفريقية بعد ذلك . وكان الأغلب : « من ذوي الشجاعة والرأي ومن أصحاب أبي مسلم

(١) ابن عذارى ، البيان ، ١/٨٥ .

بخراسان » . [1] . ووصل عهد التولية إلى الأغلب بمقر ولايته ببلاد الزاب في آخر جمادى الآخرة من سنة ١٤٨ هـ أغسطس ٧٦٥ م . ثم وصله كتاب من الخليفة : « يأمره بالعدل في الرعية وحسن السيرة في الجند ، وتحصين مدينة القيروان وخندقها وترتيب حرسها ومن يترك فيها إذا رحل إلى عدوه وغير ذلك من أموره [2] » .

واستقرت الأمور في بلاد إفريقية في ولاية الأغلب بقية ١٤٨ هـ وسنة ١٤٩ هـ ، ولكنه في سنة ١٥٠ هـ واجه تحرك الصفرية بالمغرب الأوسط بزعامة أبو قرة اليفرني . فاستخلف الأغلب على القيروان سالم بن سوادة ، وخرج مع أغلب قادته على رأس القوات العباسية . وحين علم الصفرية بكثافة القوات العباسية ، تركوا بلاد الزاب وأخذوا في التقهقر غرباً . وقد أصر الأغلب على تتبع الصفرية في أثناء تقهقرهم ، مما أثار عليه تذمر قادة الجيش وجنده ، الذين لم يرغبوا في التوغل في ملاحقة الصفرية في المغربين الأوسط والأقصى ، لما قد يتهددهم من خطر في هذه المناطق التي تعج بأعدائهم . ولما أن أصر الأغلب على رأيه ، أخذ قادته وجنده في التفرق عنه والعودة إلى نواحي القيروان . [3]

وكانت حركة الصفرية وتذمر جيش الأغلب من العوامل التي شجعت بعض كبار قادة العباسيين على التمرد في وجه واليهم ومحاولة طرده من الولاية . وتزعم هذه الحركة والي تونس ، الحسن بن حرب الكندي ، الذي انضم إليه بعض القواد ، أمثال بسطام بن الهذيل والفضل بن محمد . ولما كان والي إفريقية بعيداً عن قاعدة حكمه ، ببلاد الزاب ، فقد مهد ذلك السبيل أمام المتآمرين لأن يستولوا على القيروان في سهولة ويقبضوا على سالم بن سوادة ، نائب الأغلب عليها ويرموا به في السجن .

---

(١) الناصري ، الاستقصا ، ١٢٩/١ ، وراجع ابن عذارى ، البيان ، ٨٦/١ .

(٢) ابن عذارى ، البيان ، ٨٦/١ .

(٣) ابن عذارى ، ٨٦/١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤١١/٤ ، الناصري ، ١٢٩/١ ، سعد زغلول ، المغرب العربي ، ٣١٧ ، ٣١٨ .

وجاء الأغلب مسرعاً لتدارك الأمر ، ورغّب الحسن بن حرب في الطاعة ، ولكنه رفض كما رفض كتاب الأمير أبي جعفر المنصور الذي يدعوه إلى الطاعة . ومن ثم خرج إليه الأغلب فيمن تبقى معه من الجيش وتمكن من الانتصار عليه ، فلجأ الكندي إلى تونس حيث أعاد تنظيم قواته ، وخرج ثانية لمقاتلة الأغلب ، وانتهى القتال بانتصار جيش الأغلب وهزيمة الكندي ، وقد توفي الأغلب في هذه الموقعة ، وكانت وفاته في شعبان من سنة ١٥٠ هـ . أما الكندي فقد اختلفت الروايات في مصيره ، فمنها ما يذكر أنه قتل في نفس الموقعة ومنها ما يذكر أنه هرب إلى تونس ومنها إلى جبل كتامة حيث رجع إلى تونس بعد شهرين ، فقتل . وبعد مقتل الأغلب ولي أصحابه عليهم والي طرابلس ، المخارق بن غفار الطائي ، الذي تولى أمر القيروان وإفريقية في رمضان من السنة ١٥٠ هـ / أكتوبر ٧٦٧ م .

نلاحظ مما سبق أن تمرد الجند وطمع قادتهم في الولايات والسلطان ، كانا السبب الرئيسي الذي زعزع السيادة العباسية في إفريقية ، فلو أن لجند العباسي كان منقاداً لولاته، لاستمرت البلاد الإفريقية فترة أطول والاستقرار يسودها ، وما كان أعداء العباسيين ليطمعوا فيها . ولكن نتيجة لتمرد القواد على الولاة ومقاتلة القوات العباسية بعضها لبعض ، اضطربت الأمور بإفريقية ، مما شجع الصفرية في المغرب الأوسط على القيام بحركتهم سنة ١٥٠ هـ بزعامة أبي قرة اليفرني . ونجاح الصفرية في حركتهم تلك وعدم تمكن العباسيين من القضاء عليهم ، بالإضافة إلى تمكن الإباضية من تأسيس دولة لهم بالمغرب الأوسط تحت لواء الإمام عبد الرحمن بن رستم ، وتشجع الإباضية على التحرك في إفريقية وإعادة الكرة على العباسيين .

لكل هذه العوامل لجأت الدولة العباسية إلى أسرة آل المهلب ، وأخذت في تعيين ولاة إفريقية من بين كبار رجالاتها . والذي سنلاحظه أن العباسيين بدؤوا بالنسبة لإفريقية يفكرون في منح حكمها لأسر عريقة النسب شديدة الشوكة كثيرة العدد ، وإعطائهم استقلالاً يكـاد يكون تاماً . وإن كان

العباسيون ساروا في هذه السياسة على مهل وتروٍ بالنسبة لبيت آل المهلب ، فإننا سنراهم يطلقون أيدي بني الأغلب فيها ويصبح حكمهم لها وراثياً يتوارثه الأبناء عن الآباء .

بعد مقتل الأغلب عين أبو جعفر المنصور ١٥١ هـ على ولاية إفريقية عمرو ابن حفص ، وهو من ولد قبيصة بن أبي صفرة ، وقد وصل إلى القيروان في ٥٠٠ فارس ، وتمكن من تهدئة الأحوال بإفريقية واستقر أمرها طوال ثلاث سنوات من بدء إمارته [١] .

وفي سنة ١٥٤ هـ خرج ابن حفص إلى بلاد الزاب ، لينظر في أمورها ، وأناب عنه في حكم القيروان قريبه ، أبا حازم حبيب بن حبيب المهلبي [٢] .

وعندما وصل عمرو بن حفص إلى طبنة وابتعد عن القيروان ، استغل الصفرية والإباضية هذه الفرصة للقضاء على النفوذ العباسي بإفريقية . إن سير الحوادث التالية ينبىء عن تكتيل الصفرية والإباضية جهودهم في وجه العباسيين .

ويذكر بعض المؤرخين [٣] أن خروج ابن حفص إلى بلاد الزاب ، كان لبناء سور مدينة طبنة قاعدة الولاية . ولكن إذا علمنا أن عمرو بن حفص ما إن وصل إلى المدينة ، حتى جاءت جيوش الصفرية والإباضية لقتاله ، فتحصن خلف أسوار المدينة ، وضرب أعداؤه الحصار عليه . وهذا يؤكد أن المدينة كان لها سور حصين مما ينفي السبب الذي ذكره المؤرخون لخروجه ، اللهم إلا إن كان ذلك يعني نيته الزيادة في تحصين الأسوار أو ترميم بعضها . وهذا يجعلنا نبحث عن سبب وجيه لخروج ابن حفص إلى طبنة ، والذي أرجحه

---

(١) ابن عذارى ، ٨٨/١ ، ابن خلدون ، ٤١٢/٤ .
(٢) ابن خلدون ، ٤١٢/٤ ، الناصري ، ١٣٠/١ ، سعد زغلول ، ٣٢٠ .
(٣) ابن خلدون ، ٤١٢/٤ ، الناصري ، ١٣٠/١ .

في رغبته بعد أن استقرت أمور إفريقية تحت إمرته ثلاث سنوات وشهوراً ، في مد نفوذ العباسيين على المغربـــين الأوسط والأقصى والقضاء على دولة الرستميين الإباضية بتاهرت والدولة الصفرية بتلمسان .

وأيا كان الأمر فإن الصفرية والإباضية وقفوا بعناد في وجهه وبدؤوا العمل من جانبهم ضده . والحوادث تنبىء كما سبق وبينت بأن أتباع الفرقتين كتلوا جهودهم ضد ابن حفص والقوات العباسية ، بل أرجح تفاهمهم ونسيانهم لأحقادهم وتحالفهم ، وهذا على خلاف ما يذهب إليه الأستاذ سعد زغلول الذي يقول : « ورغم أن ذلك كان فرصة نادرة لكي يوحد الخوارج جهودهم وليضموا صفوفهم ، فالظاهر أنهم لم يفكروا في ذلك » [1] فسنرى أبا قرة اليفرني الصفري ، يشترك مع جموع الإباضية في حصار عمرو بن حفص بمدينة طبنة ، ثم إنه بعد ذلك يشترك الصفرية والإباضية في حصار القيروان .

وابتدأت الحركة عندما وصل ابن حفص إلى طبنة وابتعد عن قاعدته القيروان . وقام الإباضية في طرابلس وإفريقية بالتحرك ضد العباسيين . والمرجح أن حركة الإباضية ابتدأها الإباضية الذين ينزلون قريباً من القيروان بزعامة عاصم السدراتي [2] ، وانضم إليه صفرية صنهاجة بزعامة عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي . والظاهر أنهم بدؤوا في التوجه نحو القيروان ، مما أدى إلى مجيء قوة عباسية من مدينة طرابلس ، انضمت إلى قوات القيروان ، قادها نائب ابن حفص ، حبيب بن حبيب المهلبي ، ولكنه قتل وهزم جيشه [3] .

أما الإباضية في طرابلس ، فإنهم بايعوا أبا حاتم يعقوب بن حبيب سنة ١٥٤ هـ فبعث إليه والي طرابلس الجنيد بن بشار الأسدي قوة تعدادها خمسمائة

---

(١) سعد زغلول ، ٣٢٣ .

(٢) نفس المصدر ، ٣٢٢ .

(٣) ابن عذارى ، ٨٨/١ .

فارس ، ولكن الإباضية تمكنوا من هزيمتهم ، ثم جاء جيش عباسي آخر من إفريقية لمقاتلة إباضية طرابلس ، والتقى الجيشان بالقرب من مدينة قابس ، وانتصر الإباضية مرة أخرى ، وتمكنوا بعد هذه الموقعة من الاستيلاء على مدينة طرابلس . والمرجح أن دخول طرابلس تحت سيادة الاباضية كان في سنة ١٥٤ هـ وهي السنة التي بويع فيها أبو حاتم يعقوب . ثم إن أبا حاتم بعد أن أقر الأمور في طرابلس واطمأن إلى إدارتها[١] خرج نحو القيروان، حيث أناخ عليها بكلكله وضرب عليها الحصار .

وكان ابن حفص في هذا الوقت تحاصره قوات كثيفة من الإباضية والصفرية ، اشتركت فيها الكثير من القبائل مثل صنهاجة وزناتة وهوارة ومديونة . وكان الجند العباسي يخرجون بين الحين والآخر على المحاصرين ويأخذون في مقاتلتهم ، ثم يعودون سريعاً للتحصن وراء أسوار طبنة . وتذكر بعض الروايات [٢] أن ابن حفص أغرى بعض أصحاب أبي قرة بالمال ، فرفعوا الحصار عنه ، وتركوا الجماعات الباقية في وجه ابن حفص ، مما أتاح الفرصة لابن حفص لأن يحرز بعض الانتصارات ، غير أن ذلك لم يمكنه من القضاء عليهم . ويجب ألا نعتمد على مثل هذه الرواية الاعتماد كله ، فهي أولاً تتهم الصفرية بأخذ المال والتخلي عن بقية المقاتلين في أحرج اللحظات ، ثم إننا لا نعرف ميول أصحابها المذهبية ، هذا بالإضافة إلى أننا لم نحصل على التراث الفكري للصفرية ومنه تاريخهم ، أي أن معظم ما وصلنا عنهم كان عن طريق غير الصفرية . وهذه الواقعة إن حدثت فعلا ، فإنه يمكننا أن نرجح أن اختلافاً قد وقع في التحالف الصفري الإباضي ، مما دفع الإباضية إلى رفع الحصار عن طبنة .

وأراد ابن حفص أن ينقذ القيروان ، ولذلك ترك المهنأ بن المخارق بن

---

(١) الشماخي ، السير ، ١٣٥ .

(٢) الرقيق ، ١٤٣ ، ابن عذارى ، ٨٩/١ .

غفار الطائي على طبنة ، وخرج على رأس قوة نحو القيروان . ولما أن علم أبو حاتم بمسيره نحوه ، خرج لملاقاته . والمرجح أن زعيم الإباضية لما أراد مقاتلة ابن حفص رفع الحصار عن القيروان وسار بكل جيشه نحوه ، مما أتاح الفرصة لابن حفص لدخول القيروان . وكان ابن حفص لما أن خرج من طبنة سار إلى مدينة الأربس [1] وهي تقع إلى الغرب من القيروان وتبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام . وقد اتجه الإباضية بأجمعهم نحو الأربس ، فخدعهم ابن حفص واتجه إلى تونس . ثم إن أبا حاتم اتجه إلى سمنجة ملاحقاً لابن حفص . وكان الجند العباسي بعد أن رفع الإباضية الحصار عن القيروان قد خرجوا بقيادة جميل بن حجر ، وأخذوا في جمع ما يفيدهم من الطعام والحطب وغيره ليتقووا به في أثناء الحصار ، ثم إنهم حفروا خندقاً أمام باب أبي الربيع [2] .

والظاهر من رواية الرقيق [3] أن أبا حفص آثر ملاقاة الإباضية والصفرية خارج القيروان ، فقد التقى الفريقان عند بحيرة المسروقين ثم اضطر هزار مرد إلى التقهقر ناحية القنطاط ، ولكنه تراجع كذلك إلى القيروان وتحصن خلف الخندق المضروب أمام باب أبي الربيع ، وقد لاحقه أبو حاتم وأناخ بجل قواته أمام باب أبي الربيع ، ووزع بقية الجيش على أبواب القيروان ، فأنزل قوة بين باب سالم وباب أصرم وقوة بين باب نافع وباب عبدالله [4] وقد ذكر ابن عذارى والناصري [5] أن أبا قرة كان على رأس قواته ضمن المحاصرين ، وهذا يفيد أن الصفرية كانت تشترك مع الإباضية في محاصرة العباسيين ، ويدعم رأيي السابق بتحالف الإباضية والصفرية في قتالهم للعباسيين في محاولة للقضاء على النفوذ العباسي من المغرب في ولاية عمرو بن حفص .

---

(١) الرقيق ، ١٤٤ ، الناصري ، ١٣١/١ ، ابن خلدون ، ٤١٣/٤ .

(٢) الرقيق ، ١٤٤ .

(٣) الرقيق ، ١٤٤ .

(٤) المصدر ، ١٤٤ .

(٥) ابن عذارى ، ٩١/١ ، الناصري ، ١٣٠/١ .

وكان الجند العباسي يخرجون من حين لآخر ويأخذون في قتال الإباضية والصفرية ثم يعودون سريعاً للتحصن وراء خنادقهم وأسوار مدينتهم ، ومع ذلك لم يستطيعوا الحد من شدة الحصار الذي أخذت وطأته تزداد يوماً بعد يوم : « حتى ضاق أمرهم وأكلوا دوابهم وسنانيرهم وكلابهم ، وأخذ الناس في أكل لحوم الخيل. فغلا الملح حتى انتهى الىأوقية بدرهم واضطرب على عمر أمره وضجر أصحابه وساءت آراؤهم » (١) .

وقد أورد لنا بعض المؤرخين رواية مفادها أن زوجة عمر وبن حفص، خليدة بنت المعارك ، بعثت له رسالة تخبره فيها ، بأن أبا جعفر المنصور أرسل قوة عباسية بقيادة ابن عمه يزيد بن حاتم لفك الحصار وإنقاذه ومن معه . فغضب لهذا الأمر وقال : « تتحدث نسوة العتيك أن يزيد أخرجني من الحصار ، إنما هي رقدة حتى أبعث للحساب » (٢) . فخرج في جنده وقاتل مستميتاً حتى قتل .

وهذه الرواية ذات طابع خيالي ، لا تقدم الأسباب المنطقية التي دفعت « هزار مرد » إلى الاستماتة . فإذا كان ابن حفص يستنكف من أن تتحدث نساء العتيك بفك يزيد بن حاتم للحصار عنه أو إنقاذه ، فإن الكثيرين من الجند والقادة المحصورين وهم أخلاط شتى ومن غير قبيل قائدهم ، لا يهمهم إن تحدثت نسوة العتيك بما يحب قائدهم أو يكره إذا ما كان في ذلك إنقاذهم .

والأسباب الوجيهة لاستماتة ابن حفص وجنده تكمن في طول مدة الحصار واشتداد الحال عليهم وقلة المؤن لديهم ونقصانهم المتزايد نتيجة لسوء التغذية ولقتالهم المستمر لأعدائهم حتى : « اضطرب على عمر أمره وضج أصحابه وساءت آراؤهم » . وهذا النص يفيد اختلاف بعض القادة والجند

---

(١) الرقيق ، ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٢) المصدر ، ١٤٥ .

الذين تحت ابن حفص معه . ولعل بعضهم رأى ضرورة اتخاذ عمل ما للخروج من هذا المأزق .

ولما أن رأى ابن حفص أن الحصار قد طال وأن لا أمل في تقهقر المحاصرين عن القيروان وما يترتب على ذلك من نفاد المؤن وموت من بداخل القيروان بالمرض والجوع ، اقترح على قادته أن يخرج في مجموعة مختارة من الجند ، لعله يتمكن من اختراق الحصار ، ثم يأخذ في الإجلاب على بلاد المحاصرين ، لعل ذلك يرغمهم على رفع الحصار . فرضوا بذلك ، ثم إنه لما هم بالخروج أمسك بعضهم بعنان فرسه وقالوا : « تريد أن تخرج ونبقى نحن في الحصار »[1] . فعرض عليهم أن يبقى معهم وتخرج فرقة أخرى بقيادة جميل بن حجر أو المخارق بن غفار الطائي ، للإغارة على بلاد العدو لإرغامه على رفع الحصار ولجلب الميرة إلى القيروان ، فاختلفوا عليه .

إذن فالأسباب الحقيقية التي تقف وراء خروج ابن حفص لأعدائه واستماتته في القتال ، تكمن في شدة الحصار وطول مدته وفقدان الأمل في قرب انتهائه ، وقلة المؤن قلة تنذر بالموت جوعاً وتناقص عدد الجند العباسي لمقاتلتهم المستمرة لعدوهم ، هذا بالإضافة إلى اضطراب الجند الذين تحت قيادته ، والمرجح أن بعضهم رأى ضرورة التفاوض مع العدو والحصول على أحسن الشروط ، وبعضهم الآخر أبى ذلك ، مما أدى إلى اختلاف الرأي بين الجند واضطراب الأمر ، ولعل في وقوف بعض الجيش عندما أراد ابن حفص اختراق صفوف المحاصرين وقولهم له « تخرج أنت ونقيم نحن ، لا تفعل » ، ما يفيد بأن النظام والضبط والربط داخل الجيش قد انفرط عقده لدرجة وقوفهم في وجه قائدهم وإجباره على أن يقبع معهم حتى الموت . هذه مجمل العوامل المنطقية التي أغضبت القائد ، فجعلته يقسم بقوله : « والله لأوردنكم ونفسي حياض

---

(١) الرقيق ، ١٤٥ .

الموت » فخرج يوم السبت منتصف ذي القعدة سنة ١٥٤ هـ : « فلم يزل يطعن ويضرب حتى قتل » [١]

ثم إنه بعد مقتل عمرو بن حفص ، تولى شؤون القيروان وأمر الجند العباسي بها ، أخوه لأمه حميد بن حجر . واختلفت الروايات في تحديد الكيفية التي تم بها دخول أبو حاتم وصحبه القيروان . فابن عذاري [٢] يذكر أنه دخلها عنوة ، أما الرقيق وابن خلدون [٣] فيذكران أن حميد بن حجر تفاوض مع أبي حاتم وانتهى الأمر بتسليمه القيروان له . أما الناصري [٤] فيذكر الروايتين معاً .

وأرى أن رواية الرقيق أوفى الروايات التي أمامنا ، فهو يذكر أن حميد تفاوض مع أبي حاتم وانتهى الإتفاق : « على أن حميداً وأصحابه لا يخالفون طاعة سلطانهم ولا ينزعون سوادهم ، على أن كل دم أصابه الجند من البربر فهو هدر ، وعلى ألا يكرهوا أحداً من الجند على بيع سلاحهم ودوابهم » [٥] .

ويأخذ الدكتور سعد زغلول [٦] برواية ابن الأثير حول دخول أبي حاتم للقيروان والتي تفيد استيلاءه عليها عنوة ، ثم يرجع في الفقرة نفسها إلى ابن خلدون ، مما يجعله يناقض نفسه ، لأن ابن خلدون [٧] يقول إنه بعد مقتل عمرو بن حفص : « ولي مكانه أخوه لأمه حميد بن صخر ، فوادع أبا حاتم » . ثم يذكر أن أبا حاتم دخل القيروان وأخرج معظم الجند وأنزلهم مدينة طبنة . وهذا يعني أن مدينة طبنة كانت في يد الإباضية ، وهذا ما لم

---

(١) الرقيق ، ١٤٥ .
(٢) ابن عذارى ، ٩٠/١ .
(٣) الرقيق ، ١٤٦ ، ابن خلدون ، ٤٩٣/٦ .
(٤) الناصري ، ١٣١/١ .
(٥) الرقيق ، ١٤٦ .
(٦) سعد زغلول ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ .
(٧) ابن خلدون ، ٤١٣/٤ .

يذكره لنا المؤرخون ، إذ أن مدينة طبنة على الرغم من الحصار الشديد لم تسقط في يد المحاصرين ، بل إن عمرو بن حفص بعد أن خرج منها واتجه إلى القيروان ، ترك المهنأ بن المخارق بن غفار ليتولى الدفاع عنها [1] .

وقد اعتمدت رواية الرقيق القيرواني [2] في هذه النقطة بالذات لأنه أسبق من ابن الأثير ولأن أغلب المؤرخين المتأخرين يأخذون عنه . والرقيق يذكر أن أبا حاتم دخل القيروان صلحاً ، واتفق مع قائد العباسيين على ألا يرغم أحداً على بيع سلاحه ودوابه . ثم إنه لما أن جاء يزيد بن حاتم في قوة عباسية من المشرق ، خرج أبو حاتم في قواته لملاقاته في حيز طرابلس ، تآمر الجند العباسي مع أحد قادة أبي حاتم ، وهو عمرو بن عثمان الفهري وثاروا في وجه نائب أبي حاتم ودخلوا في بعض المعارك التي سنفصلها فيما بعد .

ورواية ابن عذارى تؤيد من بعض النواحي رواية الرقيق ، غير أنها موجزة . فهو يذكر أنه بعد خروج أبي حاتم إلى طرابلس لمقاتلة يزيد بن حاتم : « استخلف على القيروان عبد العزيز المعافري ، فقام عليه عمرو بن عثمان وقتل أصحاب أبي حاتم » [3] . فهو هنا يؤيد رواية الرقيق التي تقول باتفاق الجند العباسي مع القائد الإباضي عمرو بن عثمان . غير أن السبب الرئيسي — وفق رواية الرقيق — والذي دفع الجند العباسي إلى الثورة على نائب أبي حاتم والتآمر ، هو أن أبا حاتم لما أن خرج لمواجهة الجيش العباسي ، بعث إلى نائبه على القيروان : « يأمره بأخذ سلاح الجند وألا يجتمع منهم اثنان في مكان وأن يوجه إليه بهم واحداً بعد واحد » [4] . ونص الرقيق هذا يوحي بأن عيم الإباضية بطلبه تجريد الجند العباسي من سلاحهم وإرسالهم له واحداً بعد

---

(١) الرقيق ، ١٤٣ ، ابن عذارى ، ٩٢/١ .

(٢) الرقيق ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٣) ابن عذارى ، ٩٠/١ .

(٤) الرقيق ، ١٤٧ .

الآخر ، بأنه كان ينوي الغدر بهم والقضاء عليهم . ولكن معرفتنا لأخلاق الإباضية المنطلقة من كتاب الله وسنة رسوله ، تجعلنا نرفض هذه الرواية ، لأن الغدر ليس من شيمة المسلم القوي العقيدة . وما يمكن أن يقال في هذا الموضوع أن الجند العباسي قد راودهم الأمل في الانتصار على نائب أبي حاتم واسترجاع القيروان بعد أن بلغتهم أنباء قرب وصول القوات العباسية إلى طرابلس .

وقبل أن نبدأ في التأريخ للأحداث التالية ، نحب أن نشير إلى أننا لم نعرف على وجه الدقة ما آل إليه الأمر بين الصفرية والإباضية عند افتتاح القيروان . فقد سبق ورأينا أن الصفرية بزعامة أبي قرة اليفرني ، اشتركت مع الإباضية في حصار القيروان . وهذا يدل دلالة قاطعة على اتفاق أفراد الفرقتين وتحالفهم ضد العباسيين . غير أن استيلاء الإباضية على القيروان بعد مقتل عمرو بن حفص ، يدل على أن الصفرية قد جاؤوا مدداً لهم ، على ألا يكون لهم نصيب في القيروان . ولعل الفرقتين اتفقتا على تقسيم بلاد المغرب إلى مناطق نفوذ . فولاية إفريقية حتى الحدود الغربية للدولة الرسمية ، تكون خاضعة للنفوذ الإباضي ويكون النفوذ الصفري فيما يقع إلى الغرب من ذلك من المغربين الأوسط والأقصى . ولعل الإباضية كانت قد وعدت الصفرية بمساندتهم لافتتاح مدينة طبنة التي ما زالت تحت النفوذ العباسي .

ولاية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب :

اختلفت الروايات في التاريخ الذي ولي فيه يزيد بن حاتم والسبب الذي جاء من أجله إلى إفريقية والمغرب . هل لفك الحصار المضروب على عمرو بن حفص والجند العباسي ،أم أنه جاء لتولي افريقيةبدلاً من عمه. فالرقيق وابن عذارى [1] يجعلان توليته بعد وفاة عمرو بن حفص . أما ابن خلدون [2] .

---

(١) الرقيق ، ١٥٩ ، ابن عذارى ، ٩٢/١ .

(٢) ابن خلدون ، ٤١٤/٤ .

فيجعل توليته في أثناء محاصرة عمرو بن حفص بالقيروان سنة ١٥٤ هـ .

وقد اهتم الأمير العباسي أبو جعفر المنصور اهتماماً كبيراً بالجيش الذي سيره مع يزيد واحتفل كثيراً في إعداده ، واشتمل على العديد من الفرس وجند الشام وجند الكوفة والبصرة . وجاء هذا الاهتمام لخطورة الموقف ولكثافة القوات المتضافرة على العباسيين .

وعندما علم أبو حاتم بقرب وصول القوات العباسية الجديدة ، عين على القيروان عبد العزيز بن السمح المعافري [١] نائباً عنه ، وسار متجهاً نحو طرابلس . وما إن ابتعد الجيش الإباضي حتى تم الاتفاق بين الجند العباسي الموجود بالقيروان وبين عمرو بن عثمان ، أحد قادة الإباضية ، والظاهر أنه كان أصلاً من وجوه الجند العباسي بالقيروان ، فخرج عليهم وانضم إلى الإباضية . وقد اتصل به بعض قادة العباسيين وقالوا له : « هل لك في أمر تمحو به ذنوبك القديمة والحديثة ؟ قال : وما هو ؟ قالوا : تقوم بطاعة أمير المؤمنين معنا » [٢]

وقام الجند العباسي وأنصارهم بالقيروان بالثورة في وجه نائب أبي حاتم ، وعاضدهم في هذه الحركة عمرو بن عثمان الفهري الذي غدر بالإباضية . وتمكن هؤلاء من الانتصار على الإباضية في القيروان ، والظاهر أنهم استولوا عليها ، مما دفع أبا حاتم لما أن وصلته هذه الأخبار لأن يعود سريعاً لاستنقاذ القيروان ، مما اضطر عمرو بن عثمان ومن معه من العباسيين على أن يخرجوا من عاصمة إفريقية ، ويلتقوا بأبي حاتم في معركة لم يحدد لنا موقعها ، انتهت بهزيمة عمرو ومن معه . وقد لجأ الجند العباسي المفلول إلى مدينة تونس ، أما جميل بن صخر والجنيد بن سياق فقد هربا ناحية المشرق تجاه جيش يزيد بن حاتم .

---

(١) الرقيق ، ١٤٧ ، ابن عذارى ، ١/٩٠ .

(٢) الرقيق ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

ولما كان أبو حاتم مشغولاً بجيش يزيد ، فإنه لم يستطع تتبع قوات عمرو ابن عثمان والمخارق بن غفار الطائي . لذلك أرسل وراءهم قوة من جيشه بقيادة حريز بن مسعود المديوني [1] فأخذ في تتبعهم حتى جيجل من بلاد كتامة ، وهنا وقعت معركة انتهت بهزيمة قوات حريز ، ومن ثم أصبح الطريق مفتوحاً إلى القيروان أمام عمرو والمخارق ، وبذلك تمكنا من دخولها والاستيلاء عليها .

أما أبو حاتم فإنه اتجه على رأس الكتلة الرئيسية من الجيش نحو الشرق ، وكان يزيد في هذا الحين قد دخل أراضي سرت وهي ضمن النفوذ العباسي . ولما أن رأى أبو حاتم كثافة القوات العباسية ، آثر أن يكون اللقاء عند جبل نفوسة [2] . هذا وقد انضم إلى يزيد بعض البطون من القبائل البربرية وكذلك بعض كبار الشخصيات منهم . فمن أبرز الشخصيات البربرية التي انضمت إلى يزيد ، عمر بن مطكود النفوسي ويوسف الفرطيطي [3] ، ومن القبائل البربرية انضمت إليه بعض بطون مليلة وهوارة وجماعات أخرى لم يحددها الشماخي [4] .

خطة يزيد العسكرية :

وبنى يزيد خطته على إرسال مقدمة قوية لقواته بقيادة سالم بن سوادة التميمي ، وبعث فرقة أخرى بقيادة شبيبة بن حسان إلى قابس . ولعله أراد إرساله لفرقة شبيبة أن يفاجيء أبا حاتم من الخلف ، أو يضعه بين فكي كماشة عسكرية ، ومن المحتمل كذلك أنه أراد أن يعمل شبيبة على قطع الطريق في وجه أبي حاتم إذا ما فكر في الرجوع إلى القيروان أو التقهقر نحو الغرب .

---

(١) جاء اسمه عند الشماخي : « جرير بن مسعود المديوني » السير ، ١٣٦ .
(٢) الرفيق ، ١٥٩ .
(٣) الشماخي ، ١٣٦ .
(٤) نفس المصدر والصفحة

واصطدمت مقدمة يزيد بقيادة سالم بن سوادة بالقوات الإباضية عند جبل نفوسة ، وانتهت بهزيمة القوة العباسية ورجوع ابن سوادة مفلولاً . فنهض إليه يزيد على رأس مجموع الجيش ، والتقى الطرفان عند جندوبة من بلاد جبل نفوسة . وقد اختار أبو حاتم موقع المعركة وكان متسعاً من الأرض يقع في ظل الجبل ، وأحاط نفسه بخندق ، وهذا يعني في المقام الأول أن موقف الإباضية كان ضعيفاً تجاه القوات العباسية .

معركة جندوبة :

ووقعت المعركة [1] يوم الإثنين لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ١٥٥ هـ . ويذكر الرقيق [2] أن يزيد أمر ابنه عبدالله ، فحمل على الإباضية حتى رد صفوفهم وضعضع من نظامهم ، ثم إنه أمر بعد ذلك المهلب بن المغيرة بالهجوم في أثناء فرصة اختلال نظام الجيش الإباضي ، فكانت هزيمة الإباضية. غير أنه يلوح أن القتال كان عنيفاً جداً بين الطرفين وأن القوات العباسية كادت تفقد الأمل في النصر ، لولا أنه في أحرج المواقف ، قام عمر بن مطكود النفوسي [3] بنصح يزيد بن حاتم ، بإسناد ظهر جيشه إلى جبل يقع إلى غرب جندوبة ، مما أتاح الفرصة له لأن يحمي ظهر قواته ويقاتل الإباضية من وجه واحد ، في حين مكنه ذلك من مقاتلة خصومه من أي وجه شاء . وانتهت المعركة بهزيمة القوات الإباضية ومقتل أبي حاتم يعقوب . وتقدر قتلى الإباضية بثلاثين ألفاً ، ولا بد أن قتلى الجيش العباسي كانت مثل هذا العدد أو أزيد ، لا كما أخبرتنا الروايات بأنه قتل من الجيش العباسي ثلاثة أنفار فقط [4] .

ولم يتسرع يزيد بعد هذا الانتصار في المسير نحو القيروان ، ذلك أن هذه

---

(١) راجع أخبار قتال يزيد لأبي حاتم : البلاذري ، فتوح البلدان ، ٢٧٥/١ ، الطبري تاريخ الرسل ٤٤/٨ ، ٤٦ ، ابن عذارى ، ٩٠/١ ، ٩٤ ، ابن خلدون ، ٤١٤/٤ ، الناصري ، ١٣٢/١ .

(٢) الرقيق ، ١٦٠ .

(٣) الشماخي ، ١٣٦ .

(٤) الرقيق ، ١٦٠ .

المدينة قد استردها العباسيون بالفعل . ومكث ابن حاتم بمنطقة جبل نفوسة حسبما يذكر الرقيق حوالى الشهر ، وأخذ يتتبع الإباضية في كل مكان من منطقة نفوسة وطرابلس . وكان هدف يزيد الأساسي من بقائه هذه المدة في جهة طرابلس ، أنه كان يريد فل شوكة الإباضيين وتشتيت البقية الباقية منهم ، لأنه أدرك أنه لن يستقر للعباسيين نفوذ في إفريقية والمغرب ما دام للإباضية نفوذ وسيطرة في هذه المنطقة . والواقع أن يزيد وإن استطاع أن يكبح جماح الإباضية طوال عهده ، فإنه لم يستطع القضاء عليهم ، لأن أحداث التاريخ التالية تبين لنا بوضوح مدى القوة التي ما زالوا عليها .

وكان يزيد قد بعث إلى المخارق الطائي أمراً بتولي شؤون القيروان حتى وصوله ، كما عين سعيد بن شداد والياً على طرابلس وجبل نفوسة وعبدالله بن السمط الكندي على الجيش العباسي بطرابلس [1] . ثم إنه بعد أن اطمأن لخضوع طرابلس والجبل لنفوذه ، سار إلى قابس فوصلها في ٢٠ من جمادى الأولى سنة ١٥٥ هـ أبريل ٧٧٢ م [2] . ثم دخل القيروان في ١٩ جمادى الآخرة من السنة (يونيو ٧٧٢ م) .

القضاء على النفوذ الاباضي في جبال كتامة

ثم إن يزيد عين المخارق بن غفار ، على ولاية الزاب ، واتخذ له مدينة طبنة قاعدة وعاصمة ، وأمره بالمسير إلى مدينة جيجل بجبال كتامة ، شرقي الجزائر لضرب عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري ، الذي التجأ إلى هذه المدينة . وكان عبد الرحمن بن حبيب ممن انضم إلى أبي حاتم وظاهره في حروبه . وبعد مقتل أبي حاتم تقهقر إلى المغرب الأوسط واعتصم بهذه المدينة من جبال كتامة . وأراد يزيد أن يحزم أمره تجاه الإباضية خاصة والصفرية

---

(١) الرقيق ، ١٦٠ .

(٢) ابن عذارى ، ٩٤/١ ، سعد زغلول ، ٣٣٠ .

عامة ، وأن يبادر كل نواة لتجمع إباضي أو صفري داخل ولايته . ولذلك كلف عامله على الزاب ، بالاتجاه نحو عبد الرحمن الفهري ، ثم أتبعه العلاء بن يزيد المهلبي لمعاضدته ، فتمكنا من اختراق أسوار المدينة وقضوا على مقاتلتها وتتبعوا كل من كان يدين له بالطاعة ، غير أن عبد الرحمن بن حبيب تمكن من الهرب منهم . (١)

تحرك (ورفجومة) على حدود بلاد الزاب :

وقد قامت حركة بين قبائل ورفجومة في المغرب الأوسط بزعامة أبي زرجون أيوب الهواري ضد النفوذ العباسي (٢) ، وذلك سنة ١٥٧ هـ . وأراد يزيد أن يعاجلهم قبل أن يتفاقم أمرهم ويغزوهم في بلادهم قبل أن يجلبوا عليه داخل ولايته . فأرسل إليهم حملة بقيادة يزيد بن مجزأة المهلبي ، ولكنه هزم . فأرسل جيشاً آخر بقيادة العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي ، وأمر يزيد بن حاتم ، ابنه المهلب الذي كان في هذا الوقت والياً على الزاب وبلاد كتامة بالإنضمام إلى هذا الجيش ، فتمكنا من هزيمة أبي زرجونة وقواته من ورفجومة ، ثم قفلا راجعين .

إن والي إفريقية لما أن انتصر على الإباضية في جندوبة ، عين إلى جانب والي طرابلس ، عبدالله بن السمط الكندي ، على القوات العباسية فيها . ولاهتمامه بطرابلس جعل بها هذه القوة لتكون على أهبة الاستعداد لكل بادرة من بوادر الثورة الإباضية . وقد دلت الأحداث دائماً على أن الإباضية في ليبيا هم حملة لواء الثورة ضد أنظمة الحكم التي حكمت المنطقة أو عملت على مد نفوذها فيه . ومن هذا يتبين لنا مدى الاهتمام الذي أولاه أمراء بني المهلب لطرابلس وجبل نفوسة .

وإذا كان ابن حاتم قد جعل قوة يعتد بها لحماية النفوذ العباسي في الإقليم الغربي من ليبيا ، فإنه عين عليها رجلاً ممرساً بالحروب ، وهو من بيت بني

---

(١) الرقيق ، ١٦١ ، ابن عذارى ، ٩٤/١ ، ابن خلدون ، ٤١٤/٤ ، سعد زغلول ، ٣٣٠ .

(٢) الرقيق ، ١٦١ ، الناصري ، ١٣٢/١ ، ١٣٣ ، سعد زغلول ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

المهلب ، وقد قاد الحملة الناجحة على ورفجومة . هذا الوالي الجديد لطرابلس هو العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي . ولم تحدد لنا الروايات التي بين أيدينا تاريخ توليته .

والمرجح عندي أنه ولى آخر سنة ١٥٦ هـ أو بداية ١٥٧ هـ ، ذلك لأن هذا الوالي كان قد قاد الحملة ضد ورفجومة سنة ١٥٦ هـ . وبعد عودته إلى القيروان — حسبما يذكر الرقيق — قام يزيد بن حاتم : « فولى العلاء على طرابلس » . ولعل توليته على هذه الولاية الشديدة المراس ، كانت لما يتصف به من حنكة سياسية وخبرة عسكرية ولما أحرزه من نصر على ورفجومة .

كان لحركة ورفجومة على حدود الزاب ، صداها في البلاد الليبية . إذ يخبرنا ابن الأثير وابن عذارى عن ثورة إباضية في طرابلس . ولعل من أبرز أسبابها ، العسف الشديد الذي أخذ به عمال يزيد بن حاتم الجماعة الإباضية وظلمهم لهم بعد انتصارهم على أبي حاتم .

وتزعم الثورة يحيى بن فوناس الهواري وذلك سنة ١٥٦ هـ وانضم تحت لوائه الكثير من إباضية ليبيا . وأسرع الجيش العباسي الموجود في طرابلس بالخروج إلى الثوار بقيادة عبدالله بن السمط الكندي . والتقى الطرفان عند ساحل البحر . وبعد معركة عنيفة انتصر الجيش العباسي .

بعد أن قضى العباسيون على هذه الثورة ، هدأت البلاد الليبية وبقية إفريقية ، بقية عهد يزيد بن حاتم ، كما أن العباسيين قد انصرفوا من جانبهم عن التفكير في مد نفوذهم فيما وراء بلاد الزاب . وأتاحت فرصة الهدوء التي تمتعت بها البلاد لابن حاتم لأن ينصرف إلى أعمال الإنشاء والإعمار ، وأخذت المنطقة في الانتعاش حضارياً .

وتوفي يزيد بن حاتم في رمضان سنة ١٧١ هـ . وقد عين قبل وفاته ابنه

---

(١) ابن عذارى ، ٩٤/١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤٠/٥ .

داود على الولاية ريثما يأتي أمر هارون الرشيد . وكانت وفاة يزيد فرصة استغلها الإباضية بإفريقية ، إذ تجمعوا في منطقة باجة تحت زعامة نصير بن صالح الإباضي . وقد أرسل إليهم داود بن يزيد ، جيشاً بقيادة أخيه المهلب ، ولكنه هزم أمام الإباضية . ثم إن والي إفريقية أرسل جيشاً آخر تعداده عشرة آلاف مقاتل بقيادة سليمان بن الصمة بن يزيد بن حبيب بن المهلب . وكان النصر في هذه المرة حليف القوات العباسية ، غير أن الزعيم الإباضي لم يلبث أن جمع جموعه وكر مرة أخرى ، ولكن جيشه هزم ، وقتل وجماعة من مشيختهم .

ولم يلبث داود أن أعفي من الولاية وعين بدلاً منه عمه روح بن حاتم . وكان تعيينه سنة ١٧١ هـ ، وكان دخوله القيروان في رجب من هذه السنة (رجب ١٧١ هـ / ديسمبر – يناير ٧٨٧ – ٧٨٨ م) [١] .

وقبل أن نسير في هذا البحث خطوات أخرى ، نحب أن نتوقف قليلاً عند نقطة تتعلق بإمامة أبي حاتم الإباضي ، وقد أشار إليها الشماخي في كتاب السير . قال : « وقال أبو زكريا : أبو الخطاب إمام ظهور . وأبو حاتم إمام دفاع . وأنه يرسل ما زاد على ما يحتاج إليه مما جمع من الزكاة ، لعبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى الأمور ولاية الظهور » [٢] .

فهذا النص يفرق تفرقة صريحة بين نوعين من الإمامة . الأولى إمامة ظهور والثانية إمامة دفاع . والنقص لدينا في كتب التنظيم الإباضي يجعلنا لا نستطيع التوسع في دراسة هذه النقطة . ويتضح لنا من النص أن أبا الخطاب وعبد الرحمن بن رستم كانا إمامي ظهور ، وأن أبا حاتم كان إمام دفاع فقط ، أي أنه كان قائداً أعلى للقوات الإباضية التي دافعت العباسيين . والنص يشير إلى أنه كان قائداً ونائباً عن الإمام الأعلى ابن رستم ، وأنه كان يبعث بالأموال

---

(١) الرقيق ، ١٧١ ، ابن عذارى ، ١٠٣/١ ، ابن خلدون ، ٤١٥/٤ ، سعد زغلول ، ٣٤١ .
(٢) الشماخي ، ١٣٨ .

الزائدة عن حاجة الجماعة ، المتحصلة من جباية الزكاة إلى الإمام الأعلى عبد الرحمن بن رستم . ولعل في قول أبي زكريا بأنه كان يبعث بالأموال الزائدة إلى عبد الرحمن قبل أن يتولى ولاية الظهور ، ما يفيد أن الإمامة الإباضية قد تكون مرة إمامة مستورة ومرة إمامة ظاهرة . فعندما تكون الظروف السياسية والاجتماعية غير مهيأة لظهور الإمام ، يكون إمامهم مستوراً وغير معروف إلا من خاصة الجماعة ، وعندما تكون الظروف مهيأة يعلن عن اسمه وتظهر إمامته ويبايع بيعة ظاهرة وعامة . ولعل الإباضية — إذا كان ذلك صحيحاً — يكونون قد تأثروا في هذا الإجراء ، ببعض الفرق الشيعية ، كالإسماعيلية الذين كان لأئمتهم دوران ، دور ستر ودور ظهور وخروج .

روح بن حاتم :

كانت تولية روح على إفريقية العباسية ، في سنة ١٧١ هـ . وجاء روح إلى البلاد والأمور فيها قد تهدنت واستقرت تحت الحكم العباسي . كما أن كثرة الحروب بين العباسيين والإباضية والصفرية وما جرته من دمار وويلات ، جعلت كل الأطراف تميل إلى الدعة والسكون . وكان روح رجلاً عسكرياً ممتازاً قد عركته الحروب وخرجته ميادين القتال ، كما كان رجلاً سياسياً كذلك . غير أنه عند توليه إفريقية كان قد أصبح كبير السن لم تعد له القدرة على الدخول في مشاكل عسكرية وسياسية . ولذلك لم يتطلع إلى مد النفوذ العباسي وتوسيع ولايته على حساب الدولة الرستمية والدول الصفرية في المغربين الأوسط والأقصى . ولذلك : « رغب في موادعة عبد الوهاب بن رستم الإباضي ... فلبث روح والأحوال حسنة مستقيمة إلى أن توفي »[1] .

والظاهر أنه قد تمت المفاوضات بين روح بن حاتم وبين عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، إمام الإباضية وخليفة والده على رئاسة الدولة الرسمية.

---

(١) الرقيق ، ١٧٣ .

وأنها انتهت إلى عقد السلام بين الطرفين ، ويرجح ذلك عدم قيام الإباضية سواء في ليبيا أو على حدود الزاب ، بأية تحركات ضد العباسيين طوال عهد روح. غير أنه مما يؤسف له عدم اشارة المراجع الىتفاصيل هذه الاتصالات وما تم فيها .

بعد أن أستتب السلام في إفريقية أواخر عهد يزيد ومدة ولاية روح، ونشطت الحياة وانتعشت البلاد حضارياً ، عاود الجند العباسي داؤهم القديم بعد وفاة روح . إذ لم يلبث بعض قادة الجيش أن دفعتهم المطامع والطموح الشخصي إلى إثارة القلاقل والفتن في وجه الولاة ، والتفت العباسيون إلى أنفسهم في إفريقية وبدؤوا معركتهم من أجل النفوذ والمال .

كان هارون الرشيد قد بعث بعهد ولاية إفريقية ، إذا ما توفي روح ، إلى صاحب البريد والقائد أبي العنبر ، وبعثه إليهما سراً وعين فيه نصر بن حبيب المهلبي ، ليخلف روحاً ، لأنه خاف أن يتوفى روح ، والبلاد بدون والٍ ، فتضطرب الأمور .

وابتدأت ولاية نصر بن حبيب المهلبي في عشر بقين من رمضان سنة ١٧٤ هـ . وقام بعزل العلاء بن سعيد عن ولاية طرابلس ، وكان قد وليها في عهد يزيد بن حاتم، واستمر فيها فيأثناء عهدي يزيد وروح . وعين على طرابلس النصر بن سدوس المرادي . واستمر نصر بن حبيب والياً على إفريقية مدة سنتين وثلاثة أشهر حسبما يذكر ابن عذارى [1] ، وعزل في سنة ١٧٧هـ . وعين بدلاً منه الفضل بن روح بن حاتم . فوصل القيروان في المحرم من السنة . وبدأ في تغيير الولاة ، فكان أن عزل الوالي الذي كان عينه نصر على طرابلس ، وعين بدلاً منه أبا عيينة بن محمد بن أبي عينية بن المهلب .[2]

---

(١) ابن عذارى ، ١٠٤/١ .

(٢) الرقيق ، ١٨٥ ، راجع ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

ولا تحدثنا المراجع التي بين أيدينا ، بشيء يذكر عن تاريخ ليبيا في الفترة التي أعقبت وفاة روح بن حاتم وحتى ولاية إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤ هـ .

وبدأت الفتنة بين الجند العباسي في عهد الأمير الفضل بن روح ، إذ تزعم الثورة عليه ، عبدالله بن الجارود ، وتمكن من هزيمة عدة جيوش للفضل ، وأخيراً قتله واستولى على القيروان . ولم تهدأ الأحوال بإفريقية ولا استقر الأمر لابن الجارود ، لمواصلة الأزد وعصبيتهم ومواليهم قتال ابن الجارود وصحبه .

ولم يحسم هذا الموقف المضطرب إلا تولية هرثمة بن أعين والياً على إفريقية من قبل هارون الرشيد . ولم يدلف هرثمة مباشرة إلى ابن الجارود ، وإنما استقر بمدينة برقة ومعه منصور بن زياد . وكان الرشيد قد بعث يقطين بن موسى إلى إفريقية ، وعمل يقطين جهده لاستمالة ابن الجارود وصرفه عن غيه ، ولكنه لما أيس منه ، عمل على بث الفرقة بينه وبين كبار رجالاته . واستطاع بالفعل أن ينجح بعض الشيء في هذه السياسة . وانتهى الأمر بخروج ابن الجارود من إفريقية . وكان هرثمة في هذا الحين بمدينة اجدابية يستطلع أخبار إفريقية ، ولما أن تأكد لديه خروج ابن الجارود منها وأن الجند العباسي بدأ في الركون إلى الطاعة ، اتجه غرباً إلى عاصمة ولايته . فدخل القيروان غرة ربيع الآخر ١٧٩ هـ . وهدأت الأحوال في إفريقية في عهد هرثمة ، وانصرف في الوقت القليل الذي وليه عليها إلى الاهتمام بالمنشآت العسكرية ، ومنها أنه زاد في تحصينات مدينة طرابلس . وزاد في بناء السور من جهة البحر . والظاهر أن الولاة لم يلتفتوا إلى سور طرابلس مما يلي البر ، من لدن دخول طرابلس تحت سيادة الدولة الإسلامية ، منذ عهد عمرو بن العاص . والذي تحدثنا المصادر بأن القوات الإسلامية لم تستطع اختراق أسوارها لمناعتها ، ولم يتيسر لهم دخول المدينة والاستيلاء عليها ، إلا نتيجة لحركة جزر البحر عن ناحية السور القريب منه . اهتم هرثمة بهذه الناحية وأولاها عنايته ، ومن ثم سد هذه الثغرة التي يتهدد الخطر منها أهل طرابلس وجندها وولاتها .

ولم تطل مدة ولاية هرثمة على إفريقية ، إذ ألح على الرشيد في الإعفاء منها ، فأعفي ، وعين بدلاً منه ، أخو الرشيد من الرضاعة ، محمد بن مقاتل العكي ، وكانت توليته سنة ١٨١ للهجرة ، ودخل القيروان في رمضان من السنة .

وقد أساء السيرة واحتجن الأموال وأخر أعطيات الجند ، فأثارهم عليه ، وتزعمهم عامله على تونس ، تمام بن تميم التميمي [1] . ولم يستطع والي إفريقية أن يقف في وجه ثورة الجند وأرغم على الخروج من القيروان ، فاتجه نحو الشرق. وقد لحقه بعض قادته وكبار رجال البلاد، ذكر منهم ابن عذارى، صاحب الشرطة طرحون . وأقنعوه بالبقاء بمدينة طرابلس والعمل منها على استرداد إفريقية . وبالفعل استقر ابن مقاتل في طرابلس ، وساعدته الظروف على العودة من جديد إلى القيروان ، إذ تمكن والي ولاية الزاب ، إبراهيم بن الأغلب من الانتصار على تمام بن تميم وإخراجه من القيروان ، ثم إنه بعث إلى محمد بن مقاتل يستدعيه إلى القيروان ، فأسرع إليها وتسلم قاعدة حكمه منه .

وتمكنت قوات ابن العكي وابن الأغلب من هزيمة قوات تمام وإرغامه أخيراً على طلب الأمان ، فبذل له سنة ١٨٤ هـ ودخل في الطاعة . وهكذا انتهت حركة تمرده على والي إفريقية ، ثم إن ابن الأغلب بعد أن تمكن من القضاء على تمرد الجند وأعاد الوالي إلى ولايته ، قفل راجعاً إلى الزاب . ولما بلغت هذه الأنباء ، هارون الرشيد – عن طريق صاحب البريد ، أعفى ابن العكي من منصبه وعين إبراهيم ابن الأغلب والياً على إفريقية وذلك سنة ١٨٤ هـ .

---

(١) ابن عذارى ، ١١١/١ .

المصادر

١ ـ الكندي : محمد بن يوسف ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ـ بيروت ١٩٠٨ م .

٢ ـ الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق المنجي الكعبي ، الطبعة الأولى ١٩٦٨ ، تونس .

٣ ـ البغدادي : عبد القادر بن طاهر ، الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر مكتبة محمد صبيح .

٤ ـ الشهرستاني : محمد عبد الكريم ، الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ، نشر الحلبي ، طبعة ١٩٦٨ م .

٥ ـ ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، الجزء الأول ، نشر مكتبة صادر ، بيروت .

٦ ـ ابن خلدون ، العبر ، الجزء الرابع ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٨ م .

٧ ـ المقريزي ، الخطط

٨ ـ الشماخي ، السير ، الطبعة الأولى .

٩ – الناصري : الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد ، تحقيق جعفر ومحمد الناصري ، نشر دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤ م .

١٠ – النائب الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، نشر مكتبة الفرجاني ، طرابلس – ليبيا .

١١ – سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، الطبعة الأولى .

١٢ – دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى .